جامعة عين شمس
كلية التربية
قسم أصول التربية

المقاومة في النظرية النقدية وتوظيفها التربوي في التعليم المصري

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه
الفلسفة في التربية
تخصص (أصول التربية)

إعداد/ دينا إبراهيم أحمد جمال الدين

إشراف

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
حامد مصطفى عمار	**شكري عباس حلمي**
أستاذ متفرغ أصول التربية	أستاذ غير متفرغ أصول التربية
كلية التربية ـ جامعة عين شمس	كلية التربية ـ جامعة عين شمس

٢٠٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

" وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

صدق الله العظيم

جامعة عين شمس

كلية التربية

اسم الطالب : دينا إبراهيم أحمد جمال الدين

الدرجة العلمية : دكتوراة الفلسفة فى التربية

القسم التابع له : أصول التربية

إسم الكلية : كلية التربية

الجامعة : جامعة عين شمس

سنة التخرج : ١٩٨٤

سنة المنح : ٢٠٠٧

جامعة عين شمس

كلية التربية
قسم أصول التربية

رسالة دكتوراة

اسم الطالب : دينا إبراهيم أحمد جمال الدين

عنوان الرسالة : المقاومة فى النظرية النقدية وتوظيفها التربوى فى التعليم المصرى

اسم الدرجة : دكتوراه الفلسفة فى التربية

لجنة الإشراف :

١- الإسم / أ.د. حامد مصطفى عمار ٢- الوظيفة / أستاذ متفرغ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

١- الإسم / أ.د. شكرى عباس حلمى ٢-الوظيفة / أستاذ غير متفرغ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

تاريخ البحث : / / ٢٠٠٧

الدراسات العليا :

ختم الإجازة : أجيزت الرسالة بتاريخ : / / ٢٠٠٧

موافقة مجلس الكلية
/ / ٢٠٠٧

موافقة مجلس الكلية
/ / ٢٠٠٧

جامعة عين شمس

كلية التربية

شكر

أشكر السادة الأساتذة الذين قاموا بالإشراف :
وهم : ١) الأستاذ الدكتور / حامد مصطفى عمار
٢) الأستاذ الدكتور / شكرى عباس حلمى

ثم الاشخاص الذين تعاونوا معى فى البحث :
وهم : ١)
٢)

وكذلك الهيئات :
١)
٢)
٣)

تتقدم الباحثة بجزيل الشكر والتقدير لكل من ساهم في ظهور البحث بالصورة التي هي عليه. وأول من يستحق الشكر الأستاذان المشرفان، فلولاهما لما خرج هذا العمل للنور، أشرف على هذا البحث **أستاذان جليلان** يتميزان بثراء المعرفة ، والقدرة على العطاء المتواصل. فهما يدركان أن مشاركة العلم مع الآخرين كالنهر الذي يفيض فيثمر إنتاجاً. **فالأستاذ الدكتور / حامد عمار** شيخ التربويين جزاه الله عنى خير الجزاء لما بذله من جهد ووقت رغم كثرة مشاغله. لقد كان لفكرة العلمي وملاحظاته ورؤيته المستنيرة وتشجيعه الأثر الواضح في الاستمرار وإنجاز هذا العمل. متعه الله بموفور الصحة وجعله ذخرا للباحثين والمريدين.

أما **الأستاذ الدكتور / شكري عباس حلمي** فقد كان لأبوته الحانية ورعايته للباحثة وتشجيعه وتحمله وصبره الأثر الواضح في تحمل عناء الرحلة منذ بداية عملي لدرجة الماجستير، وهاهي قد أثمرت في النهاية هذا البحث فله مني جزيل الشكر والتقدير وأطيب التمنيات بدوام الصحة والعافية.

ولأسرة قسم أصول التربية الذي أنتمي إليه وأعمل من خلاله يسعدني كذلك أن أقدم لهم الشكر جميعاً على تشجيعهم لي لإتمام هذا العمل.

الباحثة

محتويات الدراسة

الموضوع	ص- ص

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث ١-١٠

الفصل الثاني : العولمة والمقاومة كضرورة للدول النامية ١١-٢٤

الفصل الثالث : المجتمع المصري والتغير الاجتماعي وتأثيرات العولمة ٢٥-٣٩

الفصل الرابع : المواقف المختلفة من العولمة والقوى المناهضة لها ٤٠-٤٨

الفصل الخامس : أساليب ووسائل مناهضة العولمة ٤٩-٦١

الفصل السادس : مفهوم المقاومة في النظرية الاجتماعية النقدية ومظاهره في المجتمع المصري ٦٢-٧٧

الفصل السابع : نماذج من المقاومة عبر التاريخ المصري ٧٨-١٠١

الفصل الثامن : موانع المقاومة ١٠٢-١٢٥

الفصل التاسع : توظيف المقاومة في مواجهة العولمة والتخلف الثقافي ١٢٦-١٣٩

الفصل العاشر : مقاومة التشوهات في العملية التعليمية ١٤٠-١٥٧

خاتمة : توجهات ختامية لثقافة المقاومة من خلال التعليم ١٥٨-١٦٢

المراجع ١٦٣-١٧٤

ملاحق الدراسة: ١٧٥-١٧٦

١- جدول (١) صادرات منتجات التكنولوجيا المتقدمة % من الصادرات المصنعة والعاملون في الأبحاث والتطوير ١٧٦

الفصل الأول

الإطـــار المفاهيمـــي

والمنـهجي للبحث

الفصل الأول
الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث

شواغل البحث:

ينطلق أي بحث علمي من موضوع تتناوله مختلف قطاعات المجتمع أو بعضها، ويصبح موضوعاً تتدارسه وتتناقش حوله بالتفكير والحيرة والإلحاح على وجود مخرج من أزمته الحادثة، والمسببة لفقدان البوصلة الهادية إلى توجه القبلة التي يسترشد باتجاهها. وموضوع هذه الرسالة من صنوف تلك الشواغل المتراكمة عبر الزمان والمكان. ومن ثم فهو قضية تكونت وتشكلت عناصرها من خلال الظروف التاريخية للدولة والقوى الاجتماعية الفاعلة والتناقضات الداخلية والمؤثرات الخارجية لتجعل من مقاربة الأزمة قضية وإشكالية وليس مجرد مشكلة. إنها قضية اجتماعية في أبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية والمعرفية والتربوية.

ومن ثم فإنها ليست مشكلة محددة الأبعاد، يمكن للخبراء التربويين أو الاجتماعيين إيجاد الحلول البسيطة لتجاوز أزمتها المعقدة، كما ينعكس الأمر في كثير من الرسائل. وقد تجزأت النظريات والمناهج في معالجة القضايا التربوية من سعي إلى الكفاءة الاقتصادية أو الفاعلية أو عوائد التعليم ومخرجاته أو الثانوية العامة أو المعايير وضمان الجودة. وتتجاهل كثيراً من تلك الموضوعات، دون الالتفات إلى الظروف والسياقات التي أفرزت المشكلة أو الإشكالية، وما ارتبط بتلك السياقات من مفاهيم وقيم ثقافية، ومن خطاب تربوي يروج لها، وما يحتضنه من أيديولوجيات معلنة أو متضمنة. ومن هنا تجاهلت معظم البحوث والإصلاحات التربوية تفهم ظاهرة اجتماعية المعرفة، فهي لا تظهر فجأة في الفضاء، وإنما تسير على قدمين منذ نشأتها على واقع اجتماعي تتحرك عليه، كما تحركه. وهكذا كان وسيظل شأن الثورات العلمية التي ظهرت وكانت إفرازاً لقيم مجتمعاتها المادية والفكرية، وتأتي هذه المجتمعات بدورها لتقيمها عندما تتغير ظروف إفرازاتها الأولى لتتدخل في إيجاد تعديلات أو مفاهيم علمية جديدة بفعل اجتماعية المعرفة وقيمها المجتمعية.

وفي مجتمعنا ازدادت قضية دور التعليم في التحولات الاجتماعية، وأثر تلك التحولات فيه منذ منتصف السبعينيات، وما ترتب على تطور الأوضاع المادية والقيمية والمعرفية حكمت مسيرة التطور التعليمي، واتساق هذا مع توجهات تلك الأوضاع الرأسمالية. ونجم من خلال ذلك تغيرات بنائية في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية والسياسية والثقافية. وظهرت سياسات الخصخصة باسم التغير الهيكلي بما يخدم أهداف الاندماج أو التبعية للنظام الرأسمالي، وانهارت الصناعات الوطنية وتدهورت الزراعة. واستتبع ذلك اتساع الفوارق الطبيعية وتفاقم حالات الفقر والفقراء، كما صاحبها تكريس التبعية السياسية في اتخاذ القرارات الرئيسية، وانفتحت الأبواب لنوافذ التيارات الثقافية والإعلامية والاتصالية لتدعيم صور التبعية والانجراف إلى ثقافة السوق والانبهار بالتوجه إلى الخارج في تجاوز لأولويات التنمية الذاتية، والنقل عن النظم والمؤسسات الأجنبية باسم التحديث والتحسين. وأدى ذلك إلى انسحاب الدولة من دولة رعاية إلى دولة جباية تساعد القطاع الخاص في استرداد تكلفة الخدمات، واقتصار التعليم الجيد والرعاية الصحية على من يتحملون تكلفتها من أهل الثراء والحياة.

وتعاظمت مظاهر الفساد والإحباط والاختناق والعنف والمظاهرات والاحتجاجات كتعبير عن الظلم، والحيرة والفزع من المصير، إذ لم تعد كل هذه التحولات انفكاكاً من مرحلة التحول الاشتراكي وإنما دخول إلى مرحلة أخرى غير محددة المعالم، أي كما يقال انتقال من "مرحلة المشروع إلى مرحلة اللامشروع" وهكذا تضيع ثوابت المجتمع وهويته وتماسكه ومواطنته في متاهات العولمة وضغطها وتهديداتها وهمينتها. ذلكم هو السياق المجتمعي الذي تدور فيه قضية اتخاذ التعليم آلية من آليات المقاومة لهذا التوهان والتبعية العمياء لتيارات العولمة، وهذا يتطلب الثقة في أن للفكر والمعرفة استقلالية نسبية ينبغي توظيفها وتفعيلها لتشكيل نظام تعليمي يحقق (عودة الروح) على شاكلة كتاب توفيق الحكيم، ويبعث على الثقة بالنفس والقدرة على صناعة الإنسان المصري لحاضره ومستقبله.

إشكالية الدراسة ومنهجها :

وانطلاقاً من هذه التصورات لنظام التعليم ورسالته في تفاعله مع مجتمعه ومقاومة الاستناد إلى مفاهيم ومناهج إعادة الإنتاج للعلاقات الاجتماعية وترسيخ ثقافة الصمت وسيادة القهر والتسلط والمحافظة على الأوضاع الأبوية والاستبدادية في كافة

المؤسسات، والتبعية لأيديولوجية الرأسمالية المتوحشة. وهذا المنهج هو الذي يجعل من التعليم أداة لفك الحصار عنه ليكون تعليماً للمقاومة Education for Resistance كما دعت إلى ذلك المدرسة النقدية الجديدة، والتي من أقطابها جيرو ومايكل أبل وارونيوفتش. وهي المدرسة النقدية المجددة التي انتقدت نظرية مدرسة فرانكفورت وأشياعها والتي رأت في التعليم انعكاساً لمقوماته ومكوناته للأوضاع المجتمعية السائدة كالانعكاس على المرآة. بيد أن المجددين من أنصار المدرسة النقدية قد التفتوا إلى ما يوجد فعلاً من أشكال المقاومة والتحدي للأوضاع المدرسية والتعليمية من صور الثقافات الفرعية التي يحتضنها المعلمون والطلاب ضد المقررات الرسمية أو الإدارة المدرسية، وما يلجأون إليه من مظاهر التمرد والهرب من المدرسة والشغب المتعمد من جانب الطلاب(١). ولعل ثورة الطلاب في الجامعات الفرنسية عام ١٩٦٨ حدث تاريخي يستحق الالتفات إليه، كما أن مظاهرات واحتجاجات طلابنا في مصر ممن قاموا بدور القيادة في الحركة الوطنية ما يدعم ذلك التناقض العميق بين السلطة وتعبيرات الطلاب وتصوراتهم.

ويمكن تلخيص ما تسعى الرسالة إلى معالجته ومحاولة تشخيصه فيما يلي:

١ – الكشف عن دور المنظومة التعليمية في مصر بين قطبي المحافظة والتجديد في كيان المجتمع القومي.

٢ – بيان العوامل المجتمعية والثقافية التي تعوق مسيرة التعليم، وتثير قلق الرأي العام بحركتها من إحباط يواجه عدم السداد في المحاولات المتعددة لإصلاحه.

٣ – تشخيص موقف المجتمع المصري والتوجه التربوي من متغيرات العولمة بوعدها وآمالها وبوعيدها ومخاطرها.

٤ – اتخاذ موقف إمكانية التعليم في المقاومة للتحديات والمخاطر العولمية في مسيرته الجديدة بفرز الايجابي والسلبي من معطيات التراث والمتغيرات على تصحيح مسيرته الذاتية نحو أهدافه القومية وتحديد مواقع المقاومة في كل من تلك المعطيات في التوجه المستقبلي .

---

(١) انظر: عصام الدين هلال، وطلعت عبد الحميد ، **علم التربية المعاصر**، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٠، ص ص٨٧–٨٨.

٥ – توظيف مفاهيم المقاومة وآلياتها وأساليبها التربوية لدى مختلف أطراف العملية التعليمية، نظاماً ومدرسة ومعلماً وطالباً وأولياء أمور ومجتمعاً مدنياً من أجل تأسيس نظام تربوي ديمقراطي فعال يكون قاطرة لتحول ديمقراطي مجتمعي ومع تقسيم هذه الأهداف في فصول إلا أنها مترابطة ومتشابكة مع بعضها إلى حد كبير. وهذه طبيعة الإشكاليات والقضايا الاجتماعية والإنسانية.

هذا هو منهج البحث ومفاهيمه وتداعياته في هذه الرسالة: الاهتداء بالمنهج الاجتماعي النقدي المقاوم، مع الاعتراف بحدوده وإمكاناته إذا لم تلتف حولها كتلة حرجة من المقاومين لتكون ذات تأثير يهز الأوضاع السائدة في سياقاته المجتمعية الضاغطة وغير الصديقة التي تفرض وتجبر، دون اعتبار لإنسانية المتعلم والمعلم والمستقبل.

والمنهج الاجتماعي النقدي منهج متكامل من حيث نظرته الكلية للقضايا في سياقاتها المجتمعية وفي العلاقات الجدلية بينهما، ومستند إلى الواقع في تحولاته التاريخية، وهو منظومي تكاملي يكشف تلاحم وتلاقح الأنساق في تساند وظائفها تساندا تاماً أو هشاً ، وفي دور القوى الاجتماعية مالكة السلطة والقوة في تعاملها واستجاباتها للقوى الأضعف،وفي تحليل الخطاب اللغوي الرسمي وفي مدى مطابقته للممارسة أو تزيينه للواقع وللأمل المنشود. ومن ثم يكون هادياً لنعرف عوامل القوة والضعف والفرص والتهديدات Swot[١] . وهذا المنهج لا ينكر أهمية الدراسات الإمبيريقية شريطة ألا تؤخذ على أنها تعميمات عامة متكاملة دون الالتفات إلى السياق التاريخي المجتمعي النقدي، وباختصار تتمثل قوة المقاومة في حركة الفعل ورد الفعل، يقاوم الجديد أوضاعاً وممارسات سائدة ويواجه الجديد أيضاً مقاومة من القديم المجمد للأوضاع ويحدث هذا بين المجتمع والجديد التعليمي، وبين أطراف العملية التعليمية من المعلمين والإدارة التعليمية والطلاب وأولياء الأمور، والتربويين، ويجري التصادم أو التلاحم بين مختلف الأطراف في عملية صراع فكري أو احتجاجات ومطالبات عملية ويجئ الحل

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

– باولو فريرى، **التعليم من أجل الوعي الناقد**، ترجمة حامد عمار، آفاق تربوية متجددة، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

الديمقراطي عن طريق الحوار في اتخاذ القرارات وفي الموازنة في القيمة الفعلية لكل من طرفي المحافظة والتجديد، من أجل الاقتناع بأن القرار النهائي هو الذي يؤدي إلى تعظيم الجوامع وتقليل الفوارق .

وتناقش الرسالة مواقع المقاومة التي تحتل مرتبة أولوية في مواجهة إصلاح نظام التعليم للتصدي لها. أولها وأخطرها التأثيرات المباشرة وغير المباشرة من التدخل في محاولات إصلاحه. وأمركة تنميطه لتخريج المؤهلين لثقافة السوق بمهاراتها الأكاديمية والعملية واللغوية، وفي خدمة المؤسسات المتعددة الجنسية واستثماراتها. ويتضمن ذلك التمييع والتجاهل لمقومات الثقافة الوطنية واحتياجات التنمية الذاتية الوطنية وأولوياتها وقيمها ، ويلعب البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من خلال مشوراتهما وضغوطهما في هذا السبيل. كذلك تقوم بدور واضح في هذا الصدد المعونات والقروض الأجنبية. أضف إلى ذلك اشتمال مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد هدفاً من أهدافه في تغيير خريطته تعديل المناهج وما يخصصه من صندوق تمويلي لهذا الغرض.

وهناك – فيما أعلم – دراسات ورسائل جامعية متعددة تم الاستعانة بها في سياق متن بحثنا، وقد اجتهدت تلك الرسائل في معالجة العلاقة بين التعليم ومتغيرات العصر، وبخاصة تيارات العولمة وتحدياتها ، لكن أغلبها استخدم المنهج الوصفي التحليلي أو جاء في إطار عملية التحسين للمنظومة التعليمية ولم تعالج بالتفصيل دورها في عملية التطوير النوعي لها بما يجعل التعليم أداة مقاومة وتغيير نوعي في البنية المجتمعية، أي انتهى جهدها إلى مجرد تحسين في وظائفه السائدة وضمان استمرارها ودعم النظام المجتمعي وتمكينه من الاستمرار والاستقرار.

بيد أن هذه الرسالة حاولت إبراز إمكانيات التعليم في التطوير والتغيير وإسهامه في تشكيل مواطن ومجتمع أكثر ديمقراطية وعدلاً وحرية.

ويتمثل موقع المواجهة والتحدي والمقاومة ما تتضمنه ترسبات الثقافة الوطنية من أنماط فكرية وخرافية وأسطورية وتوجهات لم تعد صالحة للسير في طريقها مع المتغيرات التي أفرزتها الثورات العلمية والتكنولوجية والاتصالات من معرفة وقيم ودرايات للعيش في القرن الحادي والعشرين وتقتضي عمليات المواجهة لأنماط الحياة والمؤسسات التعليمية إجراء النقد الذاتي للممارسات السائدة، وتغيير ما يعتبر مسلمات

أو قوانين أو إجراءات بيروقراطية تعطل جهود الإصلاح والتطوير، وصدق الحق تبارك وتعالى حين يؤكد لنا في قرآنه المجيد (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

ومن ثم فإن توظيف التعليم في مقاومة أنماط التعليم وتقاليده الموروثة داخلياً والتدخل المباشر وغير المباشر للتوجيهات أو التهديدات الخارجية، هما باختزال السؤالان- في عرف أنماط الأبحاث الامبيريقية – اللذان سوف تتناولهما هذه الرسالة. والسؤالان أو القضيتان أو الإشكاليتان، تلتحم أطرافهما ببعضها التحاماً عضوياً، ومعهما تدور مقاربة دور التعليم في المقاومة، والصراع والتكييف في منهج مترابط ومتشابك وتتألف الرسالة من عشرة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث.

الفصل الثاني: العولمة والمقاومة كضرورة للدول النامية.

الفصل الثالث: المجتمع المصري والتغير الاجتماعي وتأثيرات العولمة.

الفصل الرابع: المواقف المختلفة من العولمة والقوى المناهضة لها.

الفصل الخامس: أساليب ووسائل مناهضة العولمة.

الفصل السادس: مفهوم المقاومة في النظرية الاجتماعية النقدية ومظاهره في المجتمع المصري.

الفصل السابع : نماذج من المقاومة عبر التاريخ المصري.

الفصل الثامن : موانع المقاومة.

الفصل التاسع : توظيف المقاومة في مواجهة العولمة والتخلف الثقافي.

الفصل العاشر: مقاومة التشوهات في العملية التعليمية.

خاتمه : تتضمن توجهات ختامية لثقافة المقاومة من خلال التعليم.

الدراسات السابقة:

على حد علم الباحثة لا توجد دراسات جامعية سابقة عالجت هذا المجال بطريقة مباشرة. فهذه الدراسة تهتم بتوظيف التعليم كآلية من آليات المقاومة للتخلص من السلبيات، وعوامل القهر واستلاب الوعي. ورغم ذلك توجد العديد من الكتابات التي تناولت المقاومة من الجانب الثقافي أو السياسي ومنها كتاب سطورعن ثقافة المقاومة

لمحسن خضر وعرض فيه عدة قضايا مثل المثقف العربى وبعث ثقافة المقاومة[١]. و"فلسفة المقاومة" لعبد الحكيم بدران، وتناول فيه عرض عدة قضايا من منظور المقاومة للعولمة والهيمنة الأمريكية، وفلاسفة المقاومة والمشروع القومي العربي[٢].

كما توجد كتابات حسن حنفي عن فشتة فيلسوف المقاومة، وثقافة المقاومة، والذي يتساءل فيه عن مدى غياب مفهوم المقاومة من ثقافتنا الموروثة، وإمكانية إعادة بناء الثقافة الوطنية بحيث تعتمد على المقاومة بدلاً من الاستلام للقاهر الداخلي أو العدو الخارجي[٣].

والكتابات السابقة ركزت على مقومات الثقافة القومية، ومساندة المشروع العربي المقاوم للمثقف العربي. ورغم ذلك لم تتناول كيف يمكن توظيف التعليم كآلية من آليات المقاومة. لذا استندت الباحثة في إجرائها لهذه الدراسة على مفهوم المقاومة من خلال كتابات هنري جيرو حيث قدم تحليلاً واضحاً للمفهوم عبر رؤيته الناقدة من أجل تقديم تفسير جديد لبعض أنواع السلوك الإنساني، التي تترجم على أنها انحرافات سلوكية بدلاً من النظر إليها في إطار تفسيري لماذا يحدث هذا السلوك من أصحابه، فربما يكون رغبة منهم في التخلص من القهر الممارس عليهم. وهو يقدم الأمل من خلال محاولاته النظرية لتفسير استخدام التعليم كآلية من آليات المقاومة بدلاً من الاستسلام لرؤى المدرسة النقدية التقليدية التي تتعلق بإظهار أن التعليم يسعى إلى إعادة إنتاج نفس الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لصالح الطبقات المسيطرة مرة أخرى. رغم أن الباحثة ترى أن كشف آليات إعادة الإنتاج خلال التعليم من جانب المدرسة النقدية يعد إسهاماً في حد ذاته أدى إلى تجاوزه عبر الدراسات النقدية للنقديين الجدد أمثال آبل وجيرو وباولو فريري وارونوفيتس، وشور وغيرهم، وهذا ما تحاول الدراسة الحالية استخدامه وتوظيفه من أجل أن يكون التعليم واسطة للمقاومة وأداة للتحرر في توجهاته.

---

(١) محسن خضر، **ثقافة المقاومة**، كتاب سطور، تحت الطبع.

(٢) عبد الحكيم بدران، **فلسفة المقاومة**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.

(٣) حسن حنفي، ثقافة المقاومة، (في): **وجهات نظر**، مجلة شهرية، العدد ٣٣، السنة الثالثة، أكتوبر ٢٠٠١، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠١, ص ص٣٠-٣٦.